الخميس 17/7/2014 الشيخ الطبيب محمد خير الشعَّال

سلسلة دعوت ربي

وقل ربي زدني علماً

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علماً وعملاً متقبلاً يا أكرم الأكرمين. أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً، وارزقنا اجتنابه. نسألك علم الخائفين منك، وخوفِ العالمين بك.. وبعد:

﴿ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾ [طه: 114], هذا الدعاء ورد في القرآن الكريم, وقال المفسرون: ((إنَّ الله تعالى لم يطلب من سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم الزيادة في شيء إلا الزيادة في العلم)) .

﴿ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾.

تعلمون أنَّ أكثر ثلاثة مصطلحات وردت في القرآن الكريم هي: الإيمان, والعلم, والعمل, فمن الواضح أن لا أحد يستطيع أن يسلك في هذا الدين من دون علم, قال الصالحون: ((مَا اتَّخَذَ اللَّه مِنْ وَلِيٍّ جَاهِلٍ، وَلَو اتَّخَذَهُ لَعَلَّمَهُ)) [المقاصد الحسنة] والنبي صلى الله عليه وسلم بعث في أمة أمية, فلا زال يضغط ويحدث ويربي ويؤثر فيهم حتى ينقلهم من الجهل إلى العلم, وبإمكانك أن تتخيل صعوبة أن تجعل من إنسان أمي عالماً, هذه التربية ولَّدت جيلاً من الصحابة يعلم ويتعلم, وولَّدت أجيالاً بعدهم ورثت العلم والشوق إلى العلم في كل مفاصل حياتها.

عن عبد الله بن عباس، عن عمر، قال: ((كنت أنا وجار لي من الأنصار في بني أمية بن زيد وهي من عوالي المدينة وكنا نتناوب النزول على رسول الله صلى الله عليه وسلم، ينزل يوماً وأنزل يوماً، فإذا نزلت جئته بخبر ذلك اليوم من الوحي وغيره، وإذا نزل فعل مثل ذلك)) [البخاري].

لا يوجد عذر لواحد منا, ولا تقل أنا أعمل, يجب أن تتعلم, لا تقل أنا لدي خمسة أولاد, يجب أن تتعلم, لا تقل أنا عمري ستون سنة, يجب أن تتعلم, لا تقل أنا شاب لي من العمر ثمانية عشر سنة, يجب أن تتعلم, لا تقل أنا أمي, يجب أن تتعلم, إذا أردت أن تصير من السالكين في هذا الدرب لا بد من العلم, قال ابن القيم: ((الذنوب كلها مرجعها إلى أمرين: إما جهل, أو ظلم)), رجل يعتدي على مال شريكه, جهل أو ظلم, يعتدي على مال أخته في الميراث, جهل أو ظلم,

يقيم علاقة غير مشروعة مع إحدى النساء, جهل أو ظلم, يبيع البيرة, جهل أو ظلم, تقيم علاقات لا ترضي الله عز وجل, جهل أو ظلم, لباسها غير منضبط بالشريعة على الإطلاق, جهل أو ظلم, لذلك الجهل يسيء جداً لهذا الدين, ولعله لا يسيء إلى هذا الدين إلا أبناؤه الجهلة بالدين وتعاليمه, والجهلة في باقي فروع العلم لذلك ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾.

كان ابن مسعود إذا قرأ هذه الآية قال: ((اللهم رب زدني علماً وإيماناً ويقيناً)).

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**اللَّهُمَّ انْفَعْنِي بِمَا عَلَّمْتَنِي، وَعَلِّمْنِي مَا يَنْفَعُنِي، وَزِدْنِي عِلْمًا، الحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ، وَأَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ حَالِ أَهْلِ النَّارِ**». [الترمذي وابن ماجه].

وردت كلمة (العلم) في القرآن أكثر من سبعمائة وخمسين مرة، فإذا كانت صحائف القرآن ستمائة فيكون ذكر العلم في كل صفحة, صفحة وربع تقريباً.

صالح بن كيسان رجل له من العمر ستون سنة, كان أمياً, لحق بحلقات العلم فطرب لطلب العلم فأحب أن يتعلم, فجعل الناس يقولون له: الآن يا صالح, قال: لئن أموت وأنا أعلم شيئاً خير من أموت وأنا لا أعلم شيئاً, فعمر مائة وعشرين سنة, وصار من شيوخ البخاري ومسلم, صار من كبار علماء هذا الدين.

لا يوجد شيء في الإسلام اسمه الحصول على الشهادة وانتهينا, تأخذ الدكتوراة وتنتهي, تحصل على أربع بوردات وتنتهي, وتصبح أستاذ بروفيسور وتنتهي, حتى أنهم قالوا: ((طلب العلم من المهد إلى اللحد)), الولد حينما يولد أول شيء تفعله مسنون, أن تؤذن في أذنه: الله أكبر الله أكبر, أشهد أن لا إله إلا الله...يعني أعلم علماً يقينياً, مع أنه مازال ولداً صغيراً, لكن حتى يعلم من بداية حياته أنها علم, وهكذا يستمر بالعلم حتى إذا أنزلناه في قبره يقف أحد الناس على قبره ويقول له: اعلم يا عبدالله! مع أنَّ حياته انتهت, هكذا هو الدين علم, لذلك لا يعذر أحد على جهلٍ, قال الصالحون: ((إن الله لا يعذر على الجهل)) لا يأتي أحد ويقول لا أعلم, يجب عليك أن تتعلم ما دمت من أبناء هذا الدين.

ملاحظات سريعة في مسألة العلم في الإسلام:

1. العلم يتأتى به ما لا يتأتى بالقوة ﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾ [النمل 40].

2. العلم يمنع العقل من التبعية للأهواء والأفكار الضالة ﴿بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الروم 29].

3. العلم ثلاثة: علم بالله, وعلم بأمر الله, وعلم بخلق الله.

العلم بالله: هو علم الحقيقة, أن يصير لك علاقة مع حضرة الله عز وجل, أن يمتلئ قلبك خشية, وأن يمتلئ قلبك محبة, أن تذوب من حب الله عز وجل, أن تراقب الله في كل حركاتك وسكناتك.

العلم بأمر الله: هو الشريعة, أن تعرف ما هو حكم الله في الصلاة, ما هو حكم الله في الصوم, ما هو حكم الله في الزكاة, ما هو حكم الله في البيع والشراء, ما هو حكم الله في الزواج والطلاق.

العلم بخلق الله: وهو ما يسمى بالعلوم الطبيعية.

4. العلم الذي نرزق منه وكفى ليس إلا حرفة من الحرف: كل من تعلم وأخذ شهادة وعمل بها في مكان ما, ولو كان طبيباً أو محامياً أو مهندساً أو محاسباً, فهي حرفة, وليس هذا هو العلم في الدين, العلم هو أني لو أخذت الشهادة وعملت بها سأبقى أتعلم إلى أن أموت, فكبار العلماء يسألون الله أن يموتوا وهم على كرسي العلم إما يتعلمون أو يعلمون, ويقولون: نسأل الله أن نكون من طلاب العلم .

كان شيخنا رحمه الله تعالى يقول: ((أسأل الله أن أموت وأنا على كرسي التعليم)) وكان قد تعب في آخر عمره ومع هذا ظل ينزل إلى درس الجمعة محمولاً بين رجلين, وكان كرسيه الذي يجلس عليه لإعطاء الدرس له درجتان لم يكن يستطيع أن يصعد عليهما, فصنعوا له مصعداً صغيراً ليستطيع الجلوس على الكرسي, حتى أنَّ الطبيب مرة قال له: يا سيدي لا تخرج اليوم للتدريس؛ لأنَّ حالتك صعبة جداً, وأخاف عليك أن تتأزم حالتك فتموت, فقال له: ((ممتاز! فأنا أسأل ربي ذلك, أن أموت وأنا على كرسي العلم)) والشيخ عبد الرزاق الحلبي رحمه الله تعالى كان ينزل إلى

المسجد الأموي مثني على نصفه وصوته لا يخرج, وكان بجانبه من يعيد الدرس وإذا سئل الشيخ كان يخبره السؤال في أذنه مباشرة, ولذلك من غير المقبول –وأنتم تحضرون الدرس الآن كل يوم في رمضان– أن لا تلتحق بمجلس علم بعد رمضان, لا يوجد أي عذر على الإطلاق لأي واحد منا, لا للتاجر ولا للصانع ولا للمحامي, وأقل شيء درس في الأسبوع, والله ما أوتينا كلنا أفراداً وأسراً ومجتمعات إلا من قبل الجهل, وأنتن أيتها الأخوات جهلكن يقتلنا؛ لأنه حينما يكون لدينا امرأة مسلمة تحب الله ورسوله وتذرف الدموع إذا تلت القرآن الكريم ثم هي ترتدي ثياباً وتخرج بها إلى الشارع لا ترضي الله عز وجل..., امرأة تعتني بحفظ القرآن ولا تعتني بالزوج والأولاد تقتلينا بجهلك, فلا بد أن تراعي هذا وهذا, وأنتم أيها الشباب, والله إنك لتعجب من شباب في الشام لا يعرف من أحكام دينه إلا النذر اليسير. أتاني أحدهم منذ أيام قليلة طلق زوجته منذ ثلاث سنوات, ومهرها ثلاثمائة وخمسون ألف ليرة سورية, وإلى الآن لم يعطها حقها, وقال لها: إذا أردت مهرك خذيه عن طريق المحكمة, وهو يسأل هل يجب علي دفع زكاة صدقة الفطر عنها؟! فقلت له: أكلت ثلاثمائة وخمسين ألف ليرة وتسأل عن ثلاثمائة ليرة! جهل مطبق في الدين, قلت له: أعطها حقها, قال: في المحكمة, قلت: من الذي قال لك في المحكمة؟ أنت لا تريدها فأعطها حقها وليس عليك أن تدفع عنها زكاة فطرها؛ لأنها امرأة غريبة عنك, فهو عنده خوف من الله لكن عنده جهل بدين الله عز وجل.

بعض أهل العراق من الذين قتلوا الإمام الحسين رضي الله عنه جاؤوا إلى المدينة المنورة, وسألوا الإمام مالك رحمه الله تعالى فقالوا: لو أنَّ بعوضة وقفت على ثياب أحدنا فقتلها فجاء الدم على ثوبه, فهل يجوز أن نصلي بالثوب وعليه نقطة دم؟! قال: يا أهل العراق, تريقون دم ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم وتسألون عن دم بعوضة؟!.

ونحن في مسجدنا هذا لدينا درس علم كل يوم اثنين, يجب عليك أن تفرغ نفسك لدرس العلم رجالاً ونساءً, وإذا كان مسجدنا هذا بعيداً عنك فاختر مسجداً يكون قريباً من بيتك واحضر فيه مجلس علم.

5. العلم إن لم تعطه كلك لم يعطك بعضه: ولا تظن بأنَّ العلم طعام لذيذ يؤكل, بل العلم صعب ويحتاج إلى بذل وتعب, واسألوا الذين وصلوا إلى رتب علمية, عميت أبصارهم, آلمتهم ظهورهم, حرموا كثيراً من الرحلات والزيارات واللقاءات والاتصالات والنزهات.

6. العلم الذي يجعلك تتيه على الآخرين ما هو إلا نوع من الغرور.

7. العلم الذي يسعى لتدمير الإنسان والفتك نوع من الجريمة.

8. العلم الذي لا يتصل بما ينفعنا في ديننا ودنيانا نوع من الترف المذموم.

9. الشهادة التي تنالها من جامعتك ما هي إلا مفتاح العلم وليست العلم. أحد أساتذة اللغة العربية كتب قصيدة يقول فيها:

قد ضل من حسب الشهادة مغنماً إنَّ الشهادة مقبض المفتاح

10. العالم والمتعلم شريكان في الأجر, والأسبق من يصدق مع الله أكثر, ويعمل بما يتعلم أو بما يعلم.

قالوا: تعلموا العلم, فإنَّ تعلمه لله خشية, وطلبه عبادة, ومذاكرته تسبيح, والبحث عنه جهاد, وتعليمه لمن لا يعلمه صدقة, وبذله لأهله قربة؛ لأنه معالم الحلال والحرام, ومنار سبل الجنة, والأنيس في الوحشة, والصاحب في الوحدة, والمحدث في الخلوة, والدليل على السراء والضراء, والسلاح على الأعداء, والزين عند الأخلاء, والقرب عند الغرباء, ويرفع الله به أقواماً فيجعلهم في الخير قادة.

أمرنا الله في القرآن الكريم أن ندعوه فنقول ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾.

وصلَّى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم.
والحمد لله رب العالمين.